https://www.dgrsdt.dz/ar/revues_B?revue=AERES

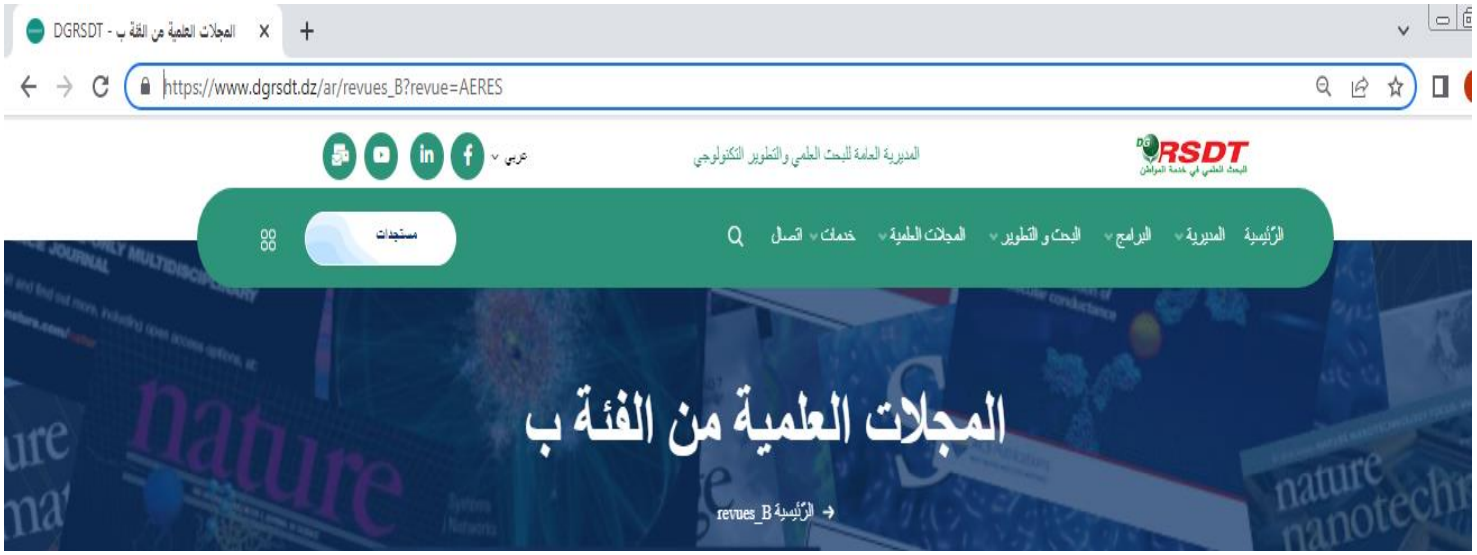

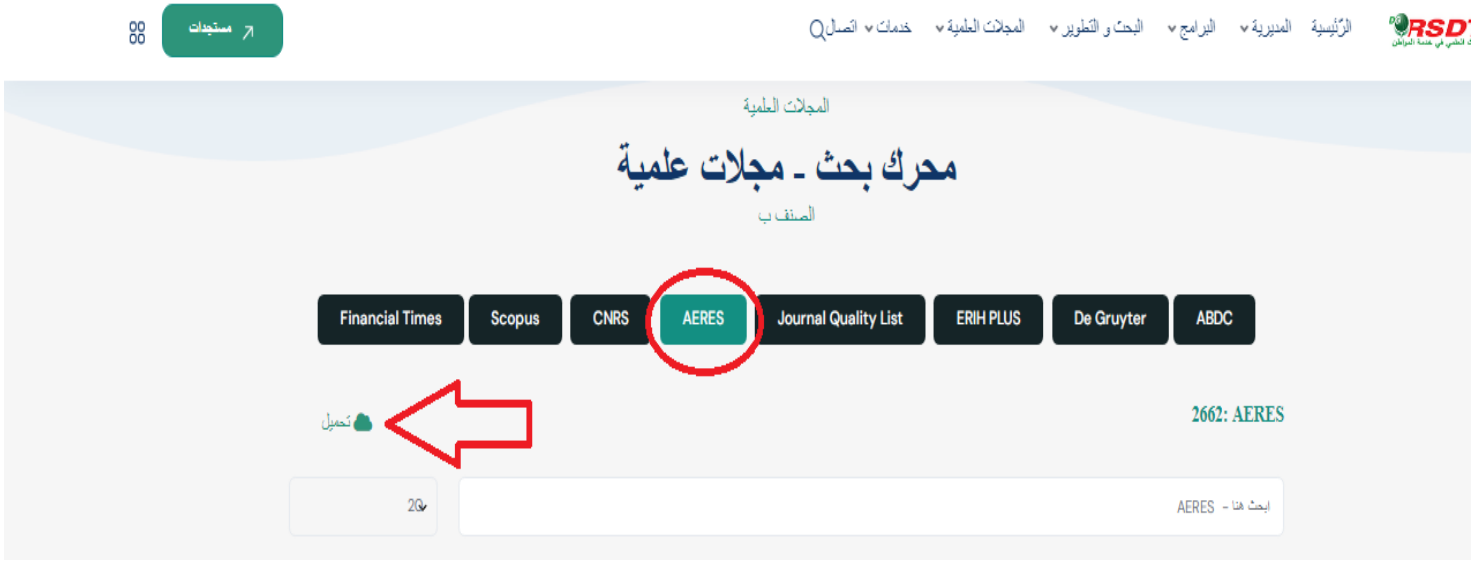

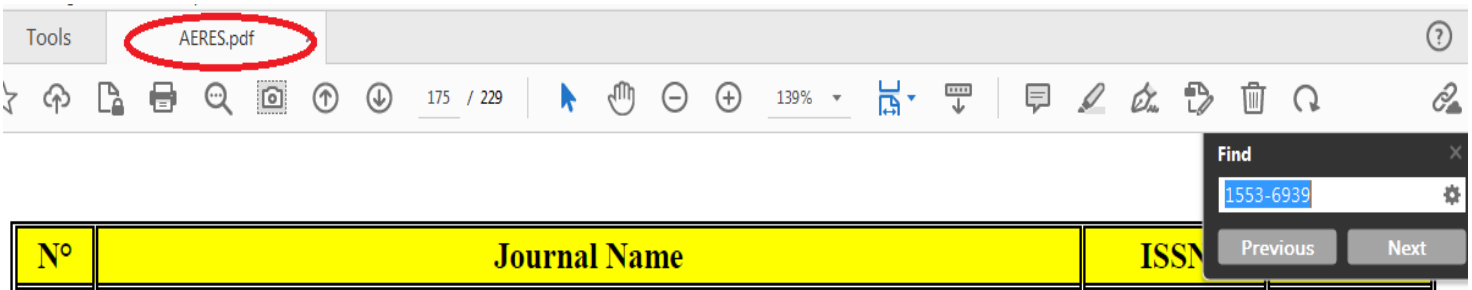

N°	Journal Name	ISSN	
6237	Psychology & Neuroscience	1984-3054	
6238	Psychology and Aging	0882-7974	
6239	Psychology and Developing Societies	0971-3336	
6240	Psychology and Education: An Interdisciplinary Journal	1553-6939	
6241	Psychology and Marketing	0742-6046	

CERTIFICATE OF PUBLICATION

Certificate of publication for the article titled:

REVOLUTIONIZING THE HISTORICAL IMAGINATION IN THE NOVEL "HAYZIYYA" BY WASSINI AL-ARAJ

Authored by:

Dr. Lakhdar Henni[1], Dr. Djadi Amar[2]

[1]Faculty of Literature and Languages, University of Mohamed Boudiaf, M'Sila (Algeria),
E-mail: lakhdar.henni@univ-msila.dz
[2]Faculty of Literature and Languages, University of Mohamed Boudiaf, M'Sila (Algeria),
E-mail: amar.djadi@univ-msila.dz

Electronic link:

http://psychologyandeducation.net/pae/index.php/pae/article/view/10144

Received: 09/02/2025, Published: 03/05/2025

With Warm Regards,

Dr. Jimmy

Associate Editor

http://psychologyandeducation.net/pae/index.php/pae/article/view/10144

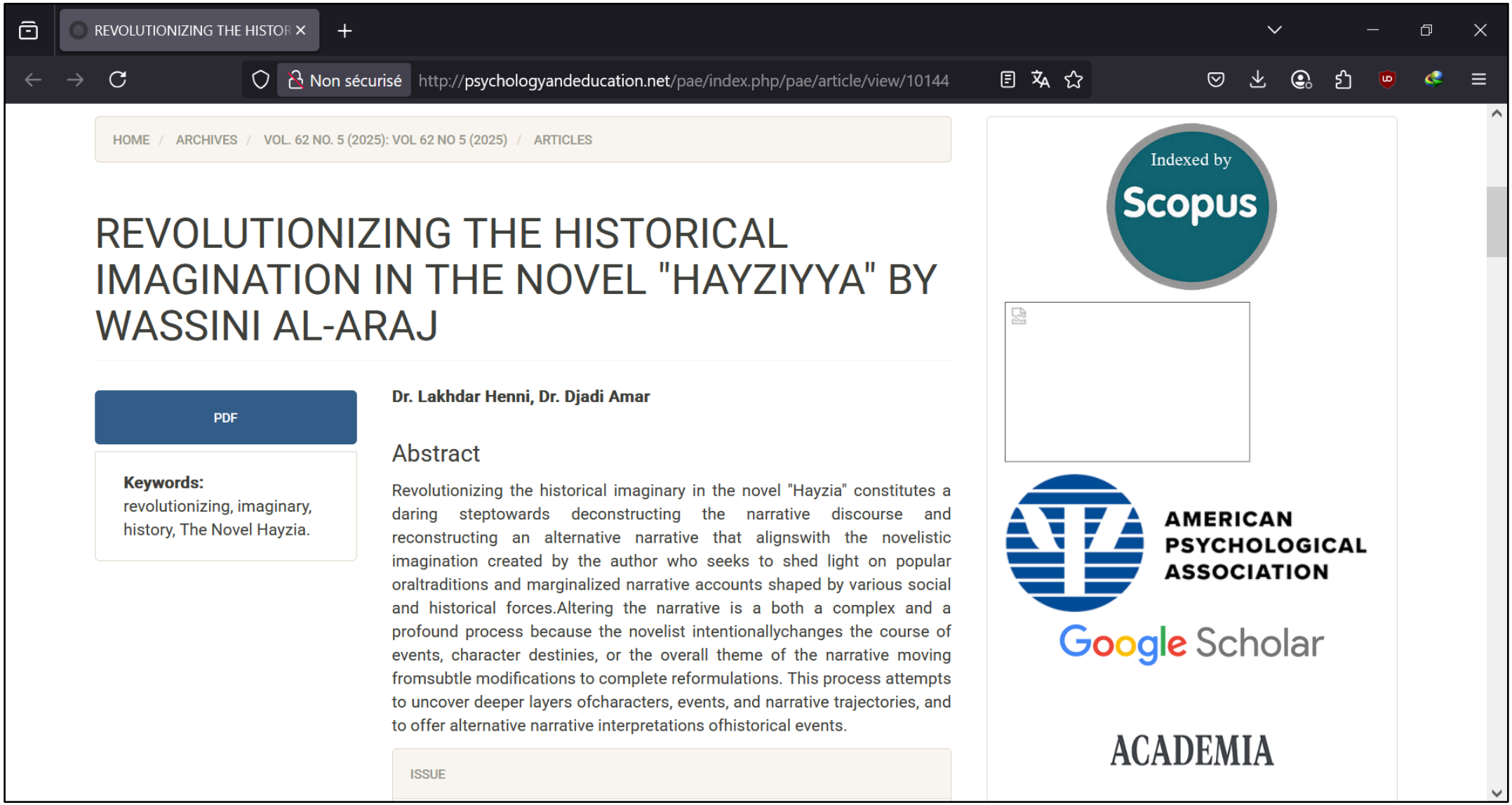

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2025) 62 (05): 104-115
ISSN: 1553-6939

REVOLUTIONIZING THE HISTORICAL IMAGINATION IN THE NOVEL "HAYZIYYA" BY WASSINI AL-ARAJ

Dr. Lakhdar Henni[1], Dr. Djadi Amar[2]

[1]Faculty of Literature and Languages, University of Mohamed Boudiaf, M'Sila (Algeria), E-mail: lakhdar.henni@univ-msila.dz
[2]Faculty of Literature and Languages, University of Mohamed Boudiaf, M'Sila (Algeria), E-mail: amar.djadi@univ-msila.dz

Received: 02/2025, Published: 05/2025

Abstract:

Revolutionizing the historical imaginary in the novel "Hayzia" constitutes a daring step towards deconstructing the narrative discourse and reconstructing an alternative narrative that aligns with the novelistic imagination created by the author who seeks to shed light on popular oral traditions and marginalized narrative accounts shaped by various social and historical forces. Altering the narrative is a both a complex and a profound process because the novelist intentionally changes the course of events, character destinies, or the overall theme of the narrative moving from subtle modifications to complete reformulations. This process attempts to uncover deeper layers of characters, events, and narrative trajectories, and to offer alternative narrative interpretations of historical events.

Keywords: revolutionizing, imaginary, history, The Novel Hayzia.

تثوير المتخيل التاريخي في رواية "حيزيا" لواسيني الأعرج

د. لخضر هني[1]، د. جادي عمر[2]

[1]كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، البريد الالكتروني: lakhdar.henni@univ-msila.dz

[2]كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)، البريد الالكتروني: amar.djadi@univ-msila.dz

الملخص:

يُعدّ إحداث ثورة في المتخيل التاريخي في رواية "حيزية" خطوة جريئة نحو تفكيك الخطاب السردي وإعادة تشكيل سرد بديل يتماشى مع الخيال الروائي الذي يصنعه الكاتب، والذي يسعى من خلاله إلى تسليط الضوء على التقاليد الشفوية الشعبية والسرديات المهمشة التي تشكّلت تحت تأثير قوى اجتماعية وتاريخية متنوعة. إن تغيير السرد هو عملية معقدة وعميقة في آنٍ واحد، إذ يقوم الروائي عن قصد بتغيير مجرى الأحداث، أو مصائر الشخصيات، أو الموضوع العام للرواية، بدءًا من تعديلات طفيفة وصولاً إلى إعادة صياغات كاملة. تهدف هذه العملية إلى كشف طبقات أعمق من الشخصيات والأحداث ومسارات السرد، وتقديم تفسيرات سردية بديلة للأحداث التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الثورة، المتخيل، التاريخ، رواية حيزية.

تقديم:

يعتمد المؤرخون غالبًا على المرويات السردية الموثقة، فينسجون أحداثًا متباينة ظاهريًا في نسيج متماسك له بداية، ووسط، ونهاية، يساعدهم التدفق الزمني على فهم الأحداث المعقدة وتمييز العلاقات بين السبب والنتيجة، مما يوفر إحساسًا بالموضوعية والقداسة في الأحداث والوقائع.

ومع ذلك من المهم جدا أن نتذكر أن التاريخ ليس فقط ما ترويه الجهات الرسمية، أو ما تكتبه النخب البرجوازية، أو ما نلفيه في تلابيب الكتب والسجلات، بل إن تاريخا آخر يرويه الهامش، وتحكيه العجائز، ويقصه الفقراء، والمغيبون، والمقهورون[1]؛ وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بالتاريخ الشعبي البديل.

ومهم جدا في هذا التقديم أن نطرح بعض الأسئلة التي تطل عنوة برأسها، وتفرض نفسها بوصفها إشكالات بحثية، من قبيل ما المقصود بالتاريخ الشعبي البديل؟ وهل يوازي التاريخ الرسمي ؟ ما الذي أحدثه واسيني الأعرج في رواية "حيزيا" من تثوير في التخييل التاريخي؟ لماذا أنصت واسيني لصوت الفئات الهشة، واعتمد في روايته على التاريخ من الأسفل؟ وعزف عن المحكيات الرسمية، وتحدى بذلك سجلا تاريخيا طويلا كان الناس قد تعارفوا على صدقيته، وصار أشبه ما يكون بالتاريخ المقدس اجتماعيا وإداريا، ما القيمة التاريخية والفنية التي تضيفها رواية "حيزيا" حين يكون السرد التاريخي من الهامش؟ وما قيمة الرواية حين ننصت لصوت الأنثى/ لالة ميرا، وهي تروي تفاصيلها بدل صوت الذكورة الذي ظل مهيمنا على السرد والحكي لعقود من الزمن؟ ثم ما علاقة الحب بوصفه عاطفة إنسانية خالدة بظاهرة الإبداع الشعري ممثلا في قصيدة ابن قيطون، كلها استفهامات نحاول أن نجد لها جوابات في هذه الورقة البحثية.

1- التاريخ البديل/ الصوت المتعدد:

يسعى التاريخ البديل إلى إعطاء صوت مغاير لأولئك الذين تم استبعادهم من الروايات التاريخية، مثل الفقراء والأميين والطبقات العاملة والأقليات والنساء والشعوب المستعمرة، ويحاول الإنصات لأحداثهم اليومية، حيث يتم التركيز على الحياة اليومية للأشخاص العاديين والتابعين ونضالاتهم وانتصاراتهم، بدلاً من التركيز على المسائل الكبرى والأحداث السياسية، وربما يشمل جوانب أخرى مثل العمل والحياة الأسرية والأمن الغذائي والممارسات الدينية وأشكال التعبير الثقافي، "وهكذا، لكي

1- "إن الرغبة في الإفصاح عن وجهة نظر المسحوقين ليست جديدة بالطبع، فقد حاول الماركسيون والنسويون وحتى المؤرخون الليبراليون تضخيم أصوات أجراء من المقهورين"
ينظر: آنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: أحمد عبد الغني غيوم، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا اللاذقية، ط1، 2007.ص، 231.

نصغي إلى أصوات التابعين نحتاج إلى الكشف عن تعددية الروايات التي حجبتها الروايات العظيمة؛ لكننا نحتاج أيضا للتفكير حول كيفية تشابك هذه التعددية من الروايات"[2] والمحكيات.

تنطلق أساسات التاريخ البديل/الشفوي من منظور أن الأشخاص العاديين ليسوا مجرد متفرجين سلبيين في التاريخ، فقد تكون لديهم القدرة على اتخاذ الخيارات والتأثير على الأحداث وصناعة خيوطها، حتى لو كانوا يفتقرون إلى السلطة الرسمية؛ لأنهم يمنحوننا فهما مغايرا لحركية التاريخ التقليدي من خلال تضمين أصوات المهمشين التي تتحدى المرويات السائدة، التي غالبا ما تمجد النخب، وتمحو تجارب الأغلبية الضعيفة.

إنّ الواجب على علماء التاريخ أن يسعوا جاهدين إلى الجمع بين " تاريخ (المركز) / من الأعلى" و"تاريخ (الهامش) / من الأسفل" لخلق سرد متعدد الأوجه، يتضمن وجهات نظر مختلف الفئات الاجتماعية؛ هامشية كانت أو رسمية، ويعترف بالتفاعل المعقد بين النخب والناس العاديين في تشكيل الأحداث التاريخية.

إن سرد التاريخ الشعبي من الهوامش يعني تضخيم تجارب الأفراد والجماعات المستبعدة تقليديًا من الروايات التاريخية الرسمية، التي غالبا ما تكتب التاريخ بطريقة تستجيب لميولاتهم وأفكارهم وتيارتهم الفكرية، ما يعني أن السرد التاريخي من العمق هو احتضان التعددية، وتوسيع العدسة التاريخية للأحداث والأشخاص والأماكن، ومحاولة الإنصات لتلك الروايات المهمشة، وهذا بدوره يتحدى الفهم التقليدي والمحدود في كثير من الأحيان للتاريخ، ويثري معرفتنا بالأصوات التي تم إسكاتها سابقا، ومحاولة استكشاف وجهات نظر الجهات الفاعلة غير المهيمنة، مثل الأشخاص العاديين أو النساء أو الأطفال أو مجموعات الأقليات في الأحداث التاريخية الكبرى، مما يوفر فهمًا أكثر دقة لديناميكيات السلطة والتعقيدات المجتمعية، بل إنه حالة من تجاوز السرديات التقليدية لدمج الأصوات والخبرات من مناطق الظل والثقافات المنسية والروايات الشعبية.

إن توسيع العدسة التاريخية "يسمح للرواية أن تعكس الواقع من خلال إعادة إنتاجه في صورة فنية، فالرواية لا تكتفي بتسجيل الواقع كما هو، بل تسعى إلى فهمه وتفسَيره، والكشف عن تناقضاته وصراعاته، وفي هذا الإطار، يمكن للرواية أن تؤدي دورا مهما في إدارة الوعي الاجتماعي وتغيير النظرة إلى العالم"[3]، وهذا بدوره يتطلب جهداً نشطاً واستعداداً لتحدي الروايات التقليدية، ومن خلال دمج وجهات نظر المتنوعة، ودراسة المصادر المختلفة، وإعادة صياغة الأسئلة، يمكننا الحصول على فهم أكثر ثراء، وأكثر جدوى للماضي السردي، مما يمهد الطريق لمستقبل أوعى فهما واستيعابا لماضيه.

لذا كان التركيز على روايات المجتمعات المهمشة، يؤدي إلى تمكينها من صناعة اللحظة التاريخية عبر اكتشاف أحداث جديدة، ومحكيات مغيبة، وتفاصيل مادية واجتماعية ونفسية للحياة

2- آنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: أحمد عبد الغني غيوم، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا اللاذقية، ط: 1، 2007، ص، 239.

3 - أحمد زكي يماني: المتخيل السردي في الرواية العربية المعاصرة، ترجمة: د. كمال عبد الرازق، المركز القومي للترجمة، 2007، القاهرة، ص، 18

والأشخاص، وهو ما يتيح فهما شاملا للماضي الذي يستدعي تفكيكا دقيقا لكل من الروايات الكبرى والتجارب الفردية، كي نحصل على صورة دقيقة للتاريخ وللحاضر على حد سواء.

هكذا يتبدى التاريخ البديل حالة من " آثار الماضي في ذاكرة الأشخاص الأحياء، في شكل ذكريات، أو تمثلات ذهنية، يعبر عنها أصحابها شفهيا أو سلوكيا، أو من خلال تصرفات، أو حركات تعبر عن ثقافة تتناقلها الأجيال"[4] كابرا عن كابر، يحاول فيها الراوي، السارد، كاتب التاريخ من مضانه الشفوية عبر " إجراء المقابلة، وتحليل التفاعلات بين الشخص الذي تجرى معه المقابلة، والقائم بإجراء المقابلة، وتحليل الممارسات الخطابية، والاهتمام بشروط إنتاج الشهادات، ووضعها في سياقها"[5] المكاني والزماني قصد إعادة بناء الحدث الروائي التاريخي، واكتشاف التفاصيل الخفية والمسكوت عنها خوفا من الرقيب الاجتماعي، ومن ثم الإحاطة الشاملة بالمشهد الدرامي كما هو الحال في رواية حيزيا.

إذا فالتاريخ البديل هو الذي لم يتم تسجيله أو نشره، أو تم تشويهه، وربما إخفاؤه عمدًا لغايات اجتماعية أو سياسية .إنه تاريخ الشعوب المستضعفة الصامتة، وتاريخ النساء، وتاريخ المجهولين، والأميين، وتاريخ المغضوب عليهم والأفكار المارقة، الذي يظل طي الكتمان، لأنه باختصار تاريخ الخوف، والرقابة، والمعاناة.

2- تثوير المتخيل التاريخي في رواية حيزيا:

إن الخوض في تجربة كتابة التاريخ التقليدي عبر مساقات السرد يعد تجربة محفوفة بالمزالق والمخاطر؛ لأنها غالبًا ما تترك مساحات واسعة من التجربة الإنسانية معتمة وغير مستكشفة، وهنا يأتي دور المسعى الحاسم المتمثل في سرد التاريخ من الهوامش، ومحاولة الإيغال في أتون التاريخ الصامت والأماكن المظلمة والأفراد المغيبين والمنسيين.

تعد رواية "حيزيا " لواسيني الأعرج تجربة تاريخية جريئة وخطيرة[6]؛ لأنها ببساطة محاولة لإعادة النظر في الروايات النمطية، والتشكيك في الصور التقليدية، والتي يمكن أن تشكل تحديًا ثقافيا واجتماعيا للروائي؛ لأنه قد يواجهنا بحقائق غير مريحة، قد تؤدي مناقشتها وتفسيرها إلى محادثات وخلافات غير محمودة العواقب، وبخاصة عند التعامل مع مواضيع حساسة كما هو الحال في رواية "حيزيا" من قبيل المرأة، والحب، والقبيلة، والجنس، والقتل، والثأر، والعار، أو روايات متنازع عليها

4- عبد الرحيم الحسناوي: مقاربة في التاريخ الشفوي أو التاريخ من الأسفل، الهامشي بأدوات علمية، مجلة الدراسات، العدد العاشر، ديسمبر/كانون الأول، 2019، ص، 201.

5- Florences Decamps, Les Sources orales et l'histoire, Récits de vie, entretiens, témoignage oraux (Paris, Bréal, 2006), p. 40.

6 - هذا ما نشره في صفحته على الفيسبوك بتاريخ 21 جانفي 2023، وبعد محاورته للباحثة الأنثروبولوجية "فوزية برانيس" وهو يسألها عن حيزيا، فقالت له:

"Waciny, ta course désespéré derrière Hiziya est dangereuse. Hiziya n'est pas seulement une muse, c'est la femme fatale par excellence"

واسيني ركضك المجنون في إثر حيزيا خطير. حيزيا ليست معشوقة فقط، ولكنها سيدة الأقدار الخطيرة بامتياز ". الرابط على صفحته:

https://www.facebook.com/share/p/mzXYUSPrGPE1AduK/?mibextid=oFDknk

مثل طريقة موت حيزيا، وزواجها، وشللها، وانتحارها، أو من هو أسعيد؟، ومن هو بن قيطون؟، لكن لو أمعنا التبصر _ كما أمعن الروائي واسيني _ فإنها فرصة للحوار الجاد، وتعزيزا للتفكير النقدي البنّاء، وتعلما للتاريخ من وجهات نظر مختلفة.

تنطلق تجربة واسيني الأعرج في هذه الملحمة العشقيّة من مبدأ تفكيكي لنماذج تاريخانية كانت قد تخزنت في الوعي الجمعي منذ أزيد من مائة عام، وهي جرأة غير اعتيادية في محاولة نبش التاريخ الرسمي، الذي غالبا ما يرتكز على الوثائق الرسمية والسجلات والكتب والرسائل والبيانات والإحصائيات، التي تحفظها الشخصيات القوية، والنافذة، الذين قادوا مسار تاريخ منطقة الزيبان، بحسب ما تمليه عليهم انتصاراتهم، وقراراتهم، وتياراتهم الفكرية والدينية والمذهبية، متجاهلين تجارب الأشخاص العاديين والنساء والأقليات والمحرومين، الذين غالبا ما تكون نضالاتهم ومساهماتهم ووجهات نظرهم الفريدة غائبة عن السجل التاريخي، بل إنهم يقللون من أهمية الدور الحاسم الذي تقوم به الفئات الاجتماعية الهشة في تشكيل تاريخ آخر غير ما هو سائد ونمطي.

غير أن صاحب رواية "حيزيا" قدم رؤية جديدة في التخييل التاريخي، وأعاد تركيب الأحداث والشخصيات والحبكة، تشجعنا على التشكيك فيما نسميه المسلمات، وتفتح أعيننا أمام حالات التعامل مع التاريخ بالتفكير النقدي والاحترام والانفتاح، وربما استطعنا تحويلها إلى تجربة تاريخية قيمة، تساهم في رد المظالم التاريخية، وتصحيح المسارات الحكائية، والاعتراف بالحقائق الماضية، حتى وإن خالفت أعراف القبيلة وقيمها الاجتماعية.

ثم إن تجربة واسيني في "حيزيا / حكاية الغزالة الذبيحة"[7] ليست تجربة تاريخية صرفة، علينا أن لا نغفل جانب الفن، والسرد، والمخيال، والترميز في الرواية، لأنه من الحيف أن نلصق التاريخانية البحتة في عمل فني، حتى وإن حوت ملامح تاريخية، فإن للروائي خياله التاريخي والأسطوري، الذي يختلف عن المؤرخ في سعيه إلى تقديم روايات حقيقة وتفسيرات واقعية محلاة بالموضوعية والأدلة والأمانة العلمية.

وهذا ما كان مع الروائي من "واسيني الأعرج" حين قدّم وجهات نظر بديلة – كما روتها لالة ميرا - في روايته "حيزيا"[8] التي تنطلق من تثوير تخييلي عبر الإنصات للهامش، إلى صوت العجائز/لالة ميرا[9]، وما تقصه في البيوت والمناسبات من حكايا وتفاصيل سردية مسكوت عنها، ومحاولة بناء فعل

7 - "**الغزالة الذبيحة**" جاءت هذه العبارة، وكأنها كلمة السر أُلقيت على مسامع لالة ميرا وهي تنصت لأحلام خالد، يقول واسيني:"برقت عيناها بفرح غريب عندما سمعت كلمة الغزالة الذبيحة، كأنها كانت تنتظر الكلمة السر" رواية حيزيا، ص، 63.

8- انطلق النص الروائي لواسيني الأعرج "حيزيا/الغزالة الذبيحة" حين كتب مقالا في جريدة الجمهورية بتاريخ 29 أكتوبر 2019، حيث تحدث عن حيزيا، وأنها زارته، وأفصحت له عن حبها لابن قيطون (أنا حبيبة ابن قيطون)، ثم تلتها ثلاث ندوات هام فيها بشخص حيزيا روائيا وسرديا، وكتب على صفحته الرسمية على الفيسبوك عن رؤية سردية مضادة تخالف المرويات الرسمية، وبعدها في مكتبة قسنطينة بتاريخ 8 ماي 2023، تحدث في محاضرة بعنوان "حكاية حيزيا روائيا/ المخيال الشعبي ودوره في تحرير السرد"، وهو ما أثار حفيظة العديد من المؤرخين والمثقفين والمتابعين، حيث تلقى الكثير من الانتقاد والتجريح.

9 - "تبدو لالة ميرا امرأة يهابها الكثيرون عن تجربة، أو عن سماع، كل واحد يروي قصته الخاصة معها وعنها، بطريقة خاصة؛ لكنهم يجمعون أن كلمتها يجب أن لا تنزل للأرض" رواية حيزية، ص، 34.

السرد للرواية من الأسفل (Vue d'en bas)؛ تعزيزا للتفكير النقدي الذي يثمن التفسيرات الشعبية للتاريخ القائم على الإنصات للجميع، ودمج الأصوات المتعددة والمتنوعة من الروايات كنوع من دمقرطة التاريخ، ودرءا لذاك التحيز الأبوي في التفسيرات التاريخية.

إنّ التاريخ المضاد الذي انطلق منه "واسيني" يجمع المرويات المنطوقة للأفراد والمجتمعات ويحفظها، والتي غالبًا ما تنتقل وتعيش في الهوامش والصدور والأعماق[10] دون أن يكترث لها أحد؛ حتى تستعيد فيها المجتمعات المهمشة لحظتها في كتابة التاريخ[11] البديل، وهذا ما أتيح للروائي من استعادة اللحظة التاريخية البديلة في صناعة سرد جديد مغاير لما كانت تكتبه الجهات الرسمية.

رواية "حيزيا" من خلال صوت الهامش تعد مثالا لتحدي التفسيرات السائدة، ودفاعا عن صوت الفئات المهمشة، إنها محاولة لاستعادة المحكيات المنسية، وإعطاء صوت لأولئك الذين ليس لهم صوت، إنها بحق لحظة تفكيك النماذج السردية التليدة، وتقديم وجهات نظر بديلة عن البطل "حيزيا" التي غالبا ما توجه بها السرد الرسمي نحو التراث المعياري الذي ترويه المؤسسات المهيمنة على الأرشيف ووسائل الإعلام قصد إضفاء شرعية ما على حالة تاريخية وسردية.

إن إعادة بناء المتخيل التاريخي في رواية حيزيا، يعد بمثابة العملية الجراحية والحيوية لفهم حركية الأحداث والوقائع، التي تشكل نقطة تحول في المساق السردي للرواية، وأثرت بشكل مباشر على سير الأحداث والشخصيات وبناء الحبك السردي، من منطق أن تاريخ "حيزيا" في المنطقة ليس مجموعة ثابتة من الحقائق، بل هو سرد ديناميكي يتأثر بالأيديولوجيات الاجتماعية والسياسية السائدة، التي أدت إلى إنشائه أول مرة؛ مما يؤدي إلى تقديم متحيز للأحداث؛ لذلك كان من الضروري بحسب واسيني إعادة الفحص وضرورة الاستقصاء[12] في المرويات الشعبية السائدة، وتصحيح وجهات النظر المتحيزة أو غير الدقيقة، ومن ثم محاولة بعث تخييل تاريخي جديد يتماشى وطبيعة القرائن التاريخية والاجتماعية والفنية لمنطقة الجنوب الجزائري، والنظر في طبيعة الصراعات القبلية حينذاك، وبالنظر كذلك إلى المحكيات الشفوية، وما تفرزه من أحداث غامضة تعيش في الظل، سكت عنها اللاوعي الفردي خوفا من الرقيب الاجتماعي أو السياسي.

3- تفتيت السرد وإعادة البناء:

10 - "ارتعب عندما سمع صوتها يأتيه واضحا من الأعماق:لقد تأخرت كثيرا يا خالد؛ لكن المهم أنّك أتيت، أنام الآن مرتاحة؛ لأنك أصبحت مالكا لقصة "حيزيا"، لم يعد لدي ما أخاف عليه الآن، وأنا تحت التراب..شكرا أنك أعدت الحقيقة إلى مكنها الطبيعي" رواية حيزيا -زفرة الغزالة الذبيحة، كما روتها لالة ميرا، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، 2023، ص، 20.

11- ومثال على ذلك حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة:أعطت الحركة صوتًا لتجارب الأمريكيين من أصل أفريقي، الذين تم استبعادهم لفترة طويلة من الروايات السائدة، مما أدى إلى إعادة تقييم التاريخ الأمريكي وإعادة قراءة مظالمه العنصرية.

12- وكشف واسيني الأعرج أنه قاد رحلة إلى سطيف ومنطقة سيدي خالد أين التقى بعجوز (نانا شامة)عمرها 96 سنة روت له رواية وحقائق نقلتها بدورها عن والدتها التي عاشت زمن حيزيا. ويقول واسيني إن العجوز أكدت له ما توصل إليه بحثه أن قصة سعيد لم تكن إلا وهما أخفت خلفها القصة الحقيقية للرجل الذي عشق حيزيا، الذي لم يكن غير شاعر القبيلة بن قيطون.

لقد برز المتخيل السردي في رواية "حيزيا" كأداة قوية لإعادة تشكيل شخصيات السرد وبعثها من جديد من خلال تسليط الضوء على الأدوار المفاجئة والصادمة التي قامت بها الشخوص في قيادة السرد داخل الرواية، وضبط الحبكة، وإثارة المشاعر، والتفاعل مع الأحداث والتأثير فيها، والتأثر بها، ويتبدى ذلك من أفعالها، ودوافعها في توجيه السرد وهندسة البناء الدرامي.

أ- **تثوير الحبك**:

ونقصد به تلك المنعطفات الدرامية الهامة في رواية "حيزيا"، والتي تقلب الأحداث، وتدفع القصة إلى الأمام، إنها البدايات التي يتغير فيها مسار السرد نحو الحبك الروائي المفاجئ/الهامشي، أو ما يُعرف أحيانًا بـ" الالتواء الحبكي(Plot Twist) "، وهي طريقة تعتمد على كشف أسرار غير متوقعة (تسميم حيزيا/العلاقة الأيروتيكية مع ابن قيطون) أو معلومات جديدة (لا وجود لشخص اسمه اسعيد) تقلب فهم القارئ للأحداث والشخصيات رأسًا على عقب، وباختصار إنّها لحظة سردية فارقة، تجعل القارئ يعيد تقييم كل ما قرأه سابقًا في سردية "حيزيا" القديمة والرسمية.

ب- **إدخال صراعات جديدة:**

حاول واسيني أن يدخل إلى روايته الجديدة صراعات داخلية، حيث دفع ببعض شخصياته إلى مواجهات نفسية (حيزيا/ابن قيطون)، أو تغيير قناعاتها تماشيا مع الخط السردي الذي رسمه لروايته المثيرة للجدل، وقد نجده أيضا يوظف صراعات خارجية مع شخصيات أخرى (صراع سادة القبائل)، أو قوى خارجية كالمجتمع القبلي المحافظ (ذواودة/أبناء بن قانة)، أو يدخل عقبات جديدة (حرمان حيزية من زواجها بابن قيطون)، وتوترات حادة (الصراع على مشيخة القبيلة)، وهذا ما يجعل الحبكة أكثر عمقا، وأقدر على اكتشاف جوانب مختلفة من شخصية حيزيا وابن قيطون على حد سواء..

4- **شخصية حيزيا/ الغزالة الذبيحة:**

إنّ الأصل في عملية تفكيك النماذج السردية التقليدية أن يقوم الروائي بتفكيك أدوار الشخصيات، وتحدي المرويات المتأصلة في الوعي الجماعي عن الشخصية البطل، ومحاولة إزالة المركزية والهياكل الأساسية التي تؤطر المهيمنات الحكائية حول الشخصية المركزية "حيزيا" واستكشاف الفجوات في مسارات السرد وحالات الغموض والتناقض في عملية التسريد الأدبي.

ذلك أن الأصل في "الأدب أنه أصدق من التاريخ، ذلك أن الأديب عندما يتناول حدثا أو شخصية تاريخية يجد الحرية الكاملة في الانطلاق وراء خبايا الحدث ودوافعه، أو وراء التجربة الخصوصية للشخصية، بينما يقف المؤرخ جامدا إزاء هذا، ذلك أنه ملتزم برواية الحدث كما هو، وحتى في محاولة إعمال فكره، فهو لا يستطيع أن يلجأ إلى التصورات الفكرية وإنما هو ملتزم بالمنطق العلمي، أو

بطريقة أخرى فإن مجال الخيال مفتوح أمام الكاتب، بينما هو مغلق أمام المؤرخ...ومن هنا فإذا كانت أدوات الأديب من حيث دراسته الواعية للحقبة والحدث والشخصية التي يؤرخ لها متكاملة، جاء عمله أقرب إلى الصدق منه إلى عمل المؤرخ"[13] الصرف.

من الطبيعي جدا أن ينحو واسيني الأعرج في روايته المثيرة هذا النحو في تفكيك السرد وإعادة بناءه، وهو الذي قال في إحدى منشوراته "حيزيا...تراجيديا عظيمة لامرأة قررت أن تعيش مهما كان الثمن، بما في ذلك روحها، سافرتُ نحوها قبل سنة، وأستمعتُ إلى نداءات قبرها مرة أخرى، وإلى سيدة سيدي خالد التي عدت لها ثانية؛ لأسمع تفاصيل القصة خارج أسرار القبيلة؛ فقد روتها لها أمُّها التي عاشتْ طويلا مثلها الجائحةَ أجلّتْ المشروعَ ، لكنها لم تقتلْهُ"[14]، ولم تطوه طي الكتمان.

يؤكد واسيني أن "حيزيا" كانت على علاقة جسدية مع الشاعر بن قيطون، وأنها أثقلت منه حين كانت القبيلة تحط في تلال سطيف (بازر سكرة) تقصد العشب والماء لدوابها ومواشيها، حيث كانت القبيلة تقيم لفترة من السنة، قبل أن تعود إلى مسقط الرأس سيدي خالد.

وهذا ما استطاع الروائي أن يستشفه من خلال قراءات واعية لقصيدة بن قيطون التي وصفت أحداث الرحلة الأخيرة، وكانت حيزيا قد أزمعت الهروب مع بن قيطون قبل أن يكتشف أمرها من قبل نسوة القبيلة، وتحبس في البيت وتموت بطريقة غامضة، والظاهر أن نساء القبيلة قمن بوضع السم لها بعد ولادتها لطفلتها، التي من المرجح أن خالتها تنكرت في هيئة الحامل عند قدومها من سطيف إلى مرابع القبيلة في سيدي خالد.

هكذا تتبدى حيزيا امرأة في غاية الذكاء والقوة والجمال والتأثير، ما يجعلها متميزة بين أترابها في قومها، وهو حافز يرشحها أن تخرق النسق المجتمعي وتتمرد على الأعراف والتقاليد القبلية، ويجعل منها شخصية متفردة بـــ:

- **الجمال والجاذبية** :تتمتع حيزيا بجمال طاغٍ يأسُر القلوب، فهي "غزالة" الرواية، وهذا الجمال الطبيعي يجعلها محط إعجاب الجميع، ويجعلها أيضًا ضحية للصراعات القبلية والأسرية.
- **القوة والشجاعة** :على الرغم من رقتها وأنوثتها، تتمتع حيزيا بشخصية قوية وشجاعة، تتحدى التقاليد والأعراف السائدة، وتتمسك بحبها لابن قيطون رغم كل العراقيل والصعاب.

13 - حلمي بدير: دراسات في الرواية والقصة، دار المعارف،د.ط، 1985، ص، 49.50.

14- انظر صفحة واسيني الأعرج على الفايسبوك: بتاريخ:2021/04/27

الرابط: https://www.facebook.com/WacinyLaredj2013/posts/pfbid0274d14FUugwz8WfCNy1pv3P4KKymE4jyAiNK22RwQdJdUGAXRyaeLrVWXXmYJktHrl

- **التمرد والثورة** :تُمثل "حيزيا" رمزًا للتمرد على الظلم الاجتماعي والاستبداد القبلي الذكوري، فهي تثور على القيود التي يفرضها المجتمع على المرأة، وتطالب بحقها في اختيار مصيرها، ولو كلفها ذلك روحها (الذبيحة).
- **العاطفة والحب** :يُمثل الحب جانبًا هامًا في شخصية "حيزيا"، فهي عاشقة والهة بابن قيطون/الشاعر، وتضحي بكل شيء من أجله، ويُصبح حبها رمزًا للحرية والانعتاق والتمرد على الأعراف المجتمعية.

5- **ابن قيطون/ الشاعر العاشق**:

لم يتردد واسيني لحظة في أن سعيد لم يكن إلا قناعا للشاعر ابن قيطون، وهو ما قال به مصرحا "كنت أظن أن سعيد مجرد قناع لابن قيطون كما فعل سيرفانتس مع حامد بن أنجلي، لكن اتضح لي لاحقا أنه شخصية حقيقية وله أحفاد"15

يبرز ابن قيطون في رواية "حيزيا" كشخصية محورية، تتجاوز دور العاشق التقليدي، ليصبح صوتًا يعبر عن جوانب عديدة في الرواية، فهو:

- **الشاعر العاشق** :ابن قيطون هو شاعر متيم، تعبر قصيدته في حيزيا عن مشاعره الصادقة والعميقة تجاها، ويوظف واسيني الأعرج شعره ليضفي جمالية خاصة على الرواية، ويصور البيئة الثقافية والاجتماعية التي عاش فيها مع محبوبته حيزيا.

- **الشاعر المثقف** :يظهر ابن قيطون كشخصية مثقفة واعية بقضايا مجتمعه، مما يجعله أكثر من مجرد عاشق، فهو يمثل صوت العقل والثقافة في الرواية.

- **الشاعر المتمرد** :قد يرى البعض في شخصية ابن قيطون جانبًا من التمرد على التقاليد الاجتماعية، من خلال علاقته بحيزيا وتحديه للأعراف السائدة في مجتمعه من خلال ما ورد في شعره عن حيزيا، حيث عمد إلى جسد حيزيا بجرأة وصراحة، متغزلا بمفاتنها، واصفا تضاريس جسمها، ورائحة عطرها، ونعومة ملمسها، حيث يقول:

صدرك مثل فيه	زوج
الرخـــــــــــام	تـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوام
مـــــــــــــــــن	
	مســوه

15-انظر صفحة واسيني الأعرج على الفايسبوك: بتاريخ:2023/06/03
الرابط:
https://www.facebook.com/profile/718942396/search/?q=%D8%AD%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A9

تفـــــاح السقام يديـــــا

بيـــــــــــــدي درت فـــــــــــــــي صدر أم حـزام الوشـام

مـــختـــــــــم فـــــــي زنـــــــــــــــــود
تخـــــــــــــــــتام طوايـــــــا

ازرق عنـــــــــــق الحمام مـــــــــا فيهـــــــــــــــشي تلـــطام

مقـــــــــــــــــدود مـــــــــــــــــــــن شغل يديـــــا
بـــلا قلام

هذا الوصيف الدقيق لمناحي الجسد اتخذه واسيني دليلا لصدق نظريته، ويؤكد أن من كتب هذه الأبيات وغيرها بتلك القوة والجمال يستحيل أن يكون قد كتبها نيابة عن شخص آخر، إن لم يكن هو المعني الحقيقي بالقصة.

6- **شخصية سعيد/قناع ابن قيطون**:

أكد واسيني الأعرج أن المرثية يصف فيها بن اقيطون الرحلة الأخيرة لحيزيا قبل موتها الغامض. فسعيد كان موظفا في الإدارة الفرنسية، مقيما في مكان قار، ولم يكن ينتقل مع العائلة البدوية، عكس بن اقيطون الذي كان من نفس قبيلة حيزيا ويسافر باستمرار معهم. أما سعيد "فكان يعمل في الإدارة الفرنسية العامة ولم يهم في الفلوات كما تقول بعض الحكايات. بالنسبة لفكرة أن ابن قيطون هو العاشق؟ لا يمكن أن نمنع كاتبا أو فنانا من التخييل. هذه فرضية منبعها القصيدة نفسها. تكفي قراءة متبصرة حقيقية؛ لنكتشف أن لغة وحزن وجرأة ابن قيطون لا يمكنها إلا أن تكون من رجل مجروح حقيقة، هل يمكن تخيل رجل شرقي (سعيد)، في لحظة فقدان، يأتي نحو صديقه، ويذكر له التفاصيل الجسدية لحبيبته؟ قصدي أن الفرضية تتأسس على شيء يمكن لمسه من القصيدة نفسها. وأكد لي ذلك الكثير من سكان بسكرة وسيدي خالد وأولاد جلال و الدوسن من الذين التقيت بهم، بل حتى في ورقلة والجلفة .بالنسبة للجانب الأخلاقي أولا هذه قصة فردية ولا علاقة لها لا بقبيلة ولا بعرش. تجربة ذاتية فردية تقع يوميا آلاف المرات .ما علاقة تجربة غرامية عاشها فردان بامتلاء بالقبيلة؟ ولو قرأت آخر مقالة نشرتها في القدس العربي لعرفت أن فرضية موتها «قد يكون مصدره» الصراع بين قبيلتي

الذواودة وابن ڤانة على المشيخة. نظام المشيخة كان يحتم تحالفات تحتية من خلال المصاهرة، هذا كله يفترض بحثا حقيقيا اخترته كمسلك في الكتاب"[16].

بعد هذه السردية لشخصية اسعيد في رواية واسيني، تتبدى لنا صورة سعيد المختلفة عما نجدها في الروايات التقليدية، حيث يقدمه واسيني في صورة باهتة، إذ يقلل من دوره البطولي ويصوره على النحو التالي:

- **الدور الهامشي**:يظهر سعيد كشخصية ثانوية وغير مؤثرة مقارنة بحيزيا وابن قيطون، كما أن دوره في الأحداث محدود للغاية.
- **الدور السلبي**:يبدو سعيد فاقدًا للإرادة، خاضعًا لظروفه، وغير قادر على اتخاذ قرارات حاسمة.

يمكن القول إن واسيني الأعرج قد نزع البطولة عن شخصية سعيد، وحولها إلى شخصية هامشية وباهتة وغير فاعلة في عملية السرد وصناعة الأحداث، وذلك على عكس ما هو شائع في الرواية التقليدية.

خاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية يمكننا أن نرسو بسفينة التحبعد تثوير المتخيل التاريخي إلى جملة محطات منها:

- رواية "حيزيا" زفرة الغزالة الذبيحة لواسيني الأعرج هي عمل سردي وتاريخي جريء يعيد قراءة قصة حب خالدة من التراث الجزائري برؤية معاصرة؛ يفكك الأعرج الرواية الرسمية المتداولة، ويقدم شخصية "حيزيا" كأنثى متمردة، تناضل من أجل حريتها وحبها، ويمنح الشاعر ابن قيطون دور البطولة في هذه القصة، ليصبح هو العاشق الحقيقي الذي خلدها بشعره.
- تتميز الرواية بجمال لغتها الشعرية، وعمقها الإنساني، وقدرتها على استحضار التاريخ والأسطورة في قالب روائي مشوق، تثير الرواية أسئلة هامة حول الحب، والحرية، والموت، ومكانة المرأة في المجتمع.
- تعد رواية "حيزيا" إضافة نوعية إلى الأدب الجزائري المعاصر، وتساهم في إحياء التراث الشعبي وتقديمه للأجيال الجديدة بأسلوب أدبي رفيع جرئي، يتخطى السائد والنمطي.
- إن محاولة واسيني تغيير مسار تاريخ السرد؛ لهو محاولة لإعادة بناء المشاهد السردية وترتيبها ومن ثم التمعن في التفاصيل الصغيرة لحياة الناس اليومية، وعاداتهم وتفكيرهم.

16-انظر صفحة واسيني الأعرج على الفايسبوك: بتاريخ:2023/06/03
الرابط:
https://www.facebook.com/profile/718942396/search/?q=%D8%AD%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A9

- تأثير الفئات البسيطة في صناعة الحدث الروائي التاريخي، على غرار لالة ميرا، ما يعني أن التاريخ لا تصنعه فقط الجهات الرسمية، بل قد تصنعه الفئات البعيدة التي تعيش في العتمة والظل والظلام
- اكتشاف الحقائق الخفية، لأنه غالبًا ما تكشف التفاصيل عن جوانب خفية من التاريخ، مثل الظلم الاجتماعي، أو التمييز، أو الصراعات الداخلية، والتي قد لا تظهر في الروايات التاريخية الرسمية.
- ربط الإبداع الفني بأصحابه من خلال قراءات واعية لمنجزاتهم الفنية، كما حدث مع ابن قيطون الذي جعل من اسعيد قناعا له، لكن بقراءات لما في الدلالات الثاوية خلف أتون القصيدة، تبين أنها من إنتاج ابن قيطون.

مصادر ومراجع البحث :

أولا- المصادر:

1- واسيني الأعرج: رواية حيزيا الغزالة الذبيحة كما روتها لالة ميرا، دار خيال للنشر والترجمة، الجزائر، 2023

ثانيا- المراجع:

1- أحمد زكي يماني: المتخيل السردي في الرواية العربية المعاصرة، ترجمة: د. كمال عبد الرازق، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، 2007 .
2- آنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، تر: أحمد عبد الغني غيوم، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا اللاذقية، ط: 1، 2007.
3- حلمي بدير: دراسات في الرواية والقصة، دار المعارف،د.ط، 1985
4- عبد الرحيم الحسناوي: مقاربة في التاريخ الشفوي أو التاريخ من الأسفل، الهامشي بأدوات علمية، مجلة الدراسات، العدد العاشر، ديسمبر/كانون الأول، 2019.

ثالثا- المراجع الاجنبية:

6 - Florences Decamps, Les Sources orales et l'histoire, Récits de vie, entretiens, témoignage oraux (Paris, Bréal, 2006), p. 40.

رابعا- المراجع الإلكترونية:

صفحة الروائي:

https://www.facebook.com/WacinyLaredj2013/posts/pfbid0274d14FUugwz8WfCNy1pv3P4KKymE4jyAiNK22RwQdJdUGAXRyaeLrVWXXmYJktHrl